حكايات من القرآن

١

عزير دليل
واضح على قدرة الله

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

رَكِبَ الأطفالُ في السَّيَّارةِ ، بينما حَمَلَ الأبُ والأمُّ والجَـدُّ الأغـراضَ ووَضَعُـوهـا فـي السَّيارةِ... ، ثمَّ انْطَلَقُوا إلى زيارةِ أحدِ المعالمِ الأَثَريَّةِ خارجَ المَدِينةِ الجَمِيلةِ...

وفي الطَّرِيقِ ،سألتْ (بُشْرى) جَدَّها قائِلةً: ومِنْ أين تَعلَّمْتَ هذه القصصَ الرَّائعةَ يا جَدِّي؟

فـأجـابَ الجَـدُّ: مـا أكثَـر تَسـاؤلاتِـك واسْتِفْساراتِكِ يا بُشْرى!!

لقد سَمِعْتُ هذه الحكاياتِ وأمْثَالَها من والدي (الحـاج جَمِيـل) عليـه رحمـةُ الله، ثـم لمَّـا كبرتُ قرأتُها في القُرْآنِ الكريمِ، وعُدْتُ إلى بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ التي تتحدَّثُ عن ذلك، فرسخَ ذلك

في ذِهْني.. وها أنا أَحْكِيْها لكم لِتَحْفَظُوها.. وعندما تكبرُوا وتُصْبِحُوا في عُمري تَحْكُوها لأحْفادِكُم وأولادِكُم!!

ضَحِكَ الأطفالُ... وقالتْ (أمُّ خالد): أطالَ اللهُ عُمركَ.. وبارَكَ اللهُ فيك.. فأنتَ بَرَكَتُنا والله..

وهكذا وَصَلُوا إلى مَكانٍ جَمِيلٍ.. حيثُ الورودُ والزُّهورُ.. وفي المكانِ قلعةٌ قديمةٌ.. لها أَعْمِدةٌ مُزَخْرفةٌ طَوِيلةٌ..

نَزَلُوا من السَّيارةِ.. وانْطَلَقُوا إلى داخِلِ القَلْعةِ.. وسَمِعُوا تَفْصِيلاتٍ دَقِيقةً عن تارِيخِها من المُرْشِدِ السِّياحِيِّ.. ثم تَجَوَّلُوا حول القَلْعةِ.. وشاهَدُوا المنَاظِرَ الطَّبِيعيَّةَ الجَمِيلةَ..

ثمَّ انْطَلَقُوا إلى مكانٍ جَبَلِيٍّ يبعُدُ بِضْعَ كيلو مِتْراتٍ عن القَلْعةِ..ولمَّا أرادوا الصُّعودَ.. قال (أبو خالدٍ) لوالدِه: لا بأسَ أن تَبْقَى في

السَّيارةِ.. ونَذْهَبَ نحنُ ، وذلك من أجلِ وَضْعِك الصِّحِّيِّ...

انْتَفَضَ الشَّيخُ حسينُ ، ورَفَعَ رأسَهُ قائلاً:

أُراهِنكُ أثناءَ صُعُودِنا إلى قِمَّةِ ذلك الجَبَلِ... وسترى مَنِ الذي يَتْعَبُ أكثر!!

وعلى رأسِ قِمَّةِ الجَبَلِ تَنَاولُوا طَعَامَ الغَداءِ.. ثمَّ شَرِبُوا بعضَ أنواعِ المَشْروباتِ الخَفِيفةِ والمُنَشِّطةِ...

وفي أثناءِ النُّزولِ شَعَر (أبو خالدٍ) بالإرْهاقِ والتَّعَبِ ، لكنه لم يُبْدِ ذلك أمامَ والِده.

وتَوَقَّفُوا في مَكانٍ فَسِيحٍ.. تَكْسُو أَرْضَهُ خُضْرةٌ طَبِيْعيَّةٌ.. وحوله المناظِرُ الخلاَّبةُ.. ولَعِبَ الأولادُ الثَّلاثةُ في جانبٍ.. والأبُ والأمُّ في جانبٍ آخر.. لَعِبُوا لُعبةَ كُرَةِ القدمِ..أما الجَدُّ فكان يمارسُ دَوْرَ الحَكَمِ!!

وعندما غابتِ الشَّمْسُ.. قال (أبو خالدٍ): هيّا نُرِيدُ العودةَ إلى السَّاحلِ الجَمِيلِ.. فقد تَعِبْنا في هذا اليومِ الرَّائعِ.. وفي هذه الرِّحلةِ الجَمِيلةِ...

وفي طَرِيقِ العَوْدةِ قال (طارقٌ) لِجَدِّه: وأينَ الحِكايةُ الثَّانيةُ يا جَدِّي؟

ضَحِكَ الجَدُّ وهو يقولُ: ألا تَنْسَى ذلك يا...؟!

أبداً ـ قال (طارق) ـ: وهل تُنْسَى مثلُ تلك الأشياءِ الجَمِيلةِ؟.. هيا يا جَدِّي نُرِيُدها حِكايةً من حِكاياتِكَ التي نُحِبُّ...

وفي قَدِيمِ الزَّمانِ!!

وراحَ الشَّيخُ حُسينُ يَحْكِي لهم الحِكَايةَ الجَدِيدةَ:

في قَدِيمِ الزَّمانِ عاشَ نبيٌّ من الأَنْبياءِ بين

بني إسْرائيلَ.. ، فَدَعاهُم ووَعَظَهُم وذَكَّرهُم ، لكنَّ قِلَّةً قليلةً آمنَتْ به ، بينما الغالبيَّةُ العُظْمى كَذَّبُوه..!!

وتميَّزَ بِسُرعةِ حِفْظِه وسُرْعةِ بَدِيْهَتِه ، حتَّى قِيلَ إنَّه حَفِظَ التَّوراةَ التي أَنْزَلَها اللهُ على نَبِيِّه مُوسَى عليه السَّلامُ...

لذلك كانَ لا يَقُولُ إلا الحقَّ والحِكْمةَ ، فَضَايَقَهُ بعضُ بني إسْرائيلَ.. فخرجَ من مَدِيْنَتِه ، وهو مُسْتَغْرِقٌ في التَّفْكِيرِ.. إذْ به يصلُ إلى بُسْتانٍ له..

وكان يَرْكَبُ على حِمارٍ له.. وفي يَدِه طَعامٌ وفَواكِهُ: من خُبْز وتِيْن وعِنَبٍ.. وعند الظَّهِيرةِ تَوَجَّه قاصِداً بَيْتَهُ...

وفي الطَّرِيقِ رأى شَجَرةً كَبِيرةً فقالَ في نَفْسِه: سَآوي إلى ظِلِّ هذه الشَّجرةِ فآكل بَعْضَ

ما أَحْمِلُ من الخُبْزِ والتِّينِ والعِنَبِ.. وأترك حِماري يرتاحُ بعضَ الوقتِ.. وبالفِعْلِ اقتربَ (عُزير) من ذلك المكانِ ثم نَزَلَ ، فرأى أَمْراً عَجَباً:

إنَّها قَرْيةٌ خربةٌ.. وكأنَّها أُصِيْبَتْ بزلزالٍ فَدمَّر كُلَّ شَيءٍ فيها.. فهناكَ جُدْرانٌ مُتَداعِيةٌ على الأرضِ.. ، وسُقُوفٌ خاوِيةٌ.. وبقايا بَشَرٍ انْقَرَضُوا منذ مدةٍ طويلةٍ.

فقال (عزيرٌ): يا إلهي! ما هذا المَنْظَرُ؟

وماذا حَدَثَ في هذه البُقْعةِ حتى آل وَضْعُها إلى هذا الحالِ من الدَّمارِ والهَلاكِ؟!

تَفْكِيرٌ.. وتَحْلِيلٌ

وراحَ يُفَكِّرُ في هذه القَرْيةِ ، ويقولُ في نَفْسِه: هذه آثارٌ تدلُّ على وُجُودِ بَشَرٍ سَكَنُوا تلك

الدِّيارَ ، لكن جاءَ أمرٌ ما فَمَاتُوا عن بَكْرةِ أبيهم..

ثم رَبَطَ حِمارَهُ إلى شَجَرةٍ ، ووَضَعَ طَعامَهُ وشَرابَهُ في السَّلَّةِ ، وراحَ يَنْظُرُ ، ويَتَأمَّلُ ، ويُفكِّرُ ، ويحسبُ ، ثم تَساءلَ: وكيف يبعثُ اللهُ هذه الأجسامَ المُمَزَّقةَ ، وكيف يَجْعَلُ من الأرزاقِ ، والدِّيار حَياةً ثانيةً كما كانتْ؟!

لكنْ يا جَدِّي ـ سأل (خالدٌ) ـ: وكيف تَمَّ الدُّعاءُ والطَّلبُ من (عزير) ، ألم يكنْ نبياً مِنَ الأنبياءِ الصَّالحِينَ؟ ثم يسألُ عن قُدْرةِ الله وقُوَّتِه؟!

قال والِدُهم: ذلكَ أنَّ عُزَيْراً لم يَشُكَّ في ذلك ، فأنتم تَعْرِفُون أنَّ المؤمنَ لا يُشكِّكُ في أيِّ أمرٍ صَادِرٍ عن الله ، ومن بابٍ أولى أن يكونَ (عزير) مُطْمَئِنَّ القلبِ.. يَحْمِلُ العقيدةَ الصَّحِيحةَ أولاً وأخيراً.

لذلك كانتِ اسْتِفْساراتُ (عزير) من باب التَّأكدِ والطُّمأنِيْنةِ.

الدَّرسُ الإلهيُّ العَمَليُّ!!

تابَعَ الجَدُّ الحِكايةَ:

وأرادَ اللهُ سُبْحانه وتعالى أن يكونَ ذلك دَرْساً عَمَلِيّاً للعُزَير..

وكما تَعْلَمُون ـ يا أحبابي ـ: فاللهُ تعالى إذا أرادَ أَمْراً كان المُراد ، وهُو وَحْدَه القادرُ القاهِرُ ، وهو الذي إذا أرادَ شَيْئاً قالَ له: كُنْ فَيَكُونُ..

لذلك أماتَ اللهُ (عُزَيْراً).. ثم ماتَ حِمارُهُ أيضاً... وبَقِي الأمرُ كذلك مُدَّةَ (١٠٠) مئة عامٍ!!

مئة عام بَقِي ميتاً يا جَدِّي؟ـ يسألُ (خالد) ـ.

أجابَ الجَدُّ: نَعمَ مئة عام.. ألم تَسْتَمِعُوا إلى

قِصَّة أَهْلِ الكَهْف ، وقد أماتَهُم اللهُ تَعالى أكثرَ من (٣٠٠) ثلاثمئة عامٍ؟!

إنَّها أمورٌ خارِقةٌ.. وهي مُعْجِزاتٌ من قِبَلِ الله تعالى .

بعدَ ذلك أَحْياهُ اللهُ تعالى..!! وإذا (عُزَيْرٌ) يتحرَّكُ كما يَسْتَيْقِظُ النَّائِمُ من نَوْمِه..!

وظَنَّ (عُزَيْر) أنه قد اسْتَفاقَ من نَوْمِه.

لكنَّ الله أَرْسَلَ له مَلَكاً من ملائِكَتِه ليسأَلهُ: هل تَعْرِفُ يا عُزَيْر كم مَضَى عليكَ من زَمَنٍ وأنتَ في هذا المَكانِ؟

فأجابَهُ عُزَيْرٌ: لقد نِمْتُ يوماً أو بَعْضَ يومٍ..

فقالَ المَلَكُ: لا.. إنك لم تكنْ نائِماً قَط.. إنما كنتَ ميتاً.. وقد مَضَى على مَوْتِك مئةُ عامٍ..!!

والتفتَ (عُزَيْرٌ) ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ ثم

صاحَ: يا إلهي! مئة عامٍ.. إذاً أين الناسُ الذين كنتُ أَعْرِفُهم؟ وأين مدينتي؟ ماذا حَدَثَ لها؟

فقالَ المَلَكُ: كما جَمَعُ اللهُ عِظَامَك التي فَنِيَتْ.. وكما أعادَ إلى جَسَدِكَ اللحمَ والدَّمَ كذلك هو وَحْدَه قادرٌ على بَعْثِ النَّاسِ ، وإعادةِ ما خَرِبَ...

إنَّهُ لأمرٌ عُجَاب!!

وهَكَذا يا أَحْبابي.. أرادُ اللهُ سُبْحانه وتعالى أن يُوضِّحَ لِلْعُزَيْر صُورةً من صُور قُدْرته وقُوَّته عزَّ وجلَّ..

فأوحى اللهُ إليه: أنْ يا عُزَيْر انْظُرْ إلى طعَامِكَ ماذا حَدَثَ له في هذه الفَتْرةِ؟

طَعَامي..ـ قال عُزَيْرـ.. وكيف يَبْقَى الطَّعامُ مئةَ عامٍ..؟!

والتفتَ عُزَيْر يميناً فإذا به يَرَى السَّلَّةَ التي

كانَتْ معه.. ، اقتربَ منها ونَظَر فإذا العنبُ والخُبْزُ والتِّين كما هو.. لم يُصَبْ بِعَطَبٍ..!!

يا إلهي سُبْحانكَ ـ صاحَ عُزَيْرٌ ـ..

فقيلَ له: وانْظُرْ إلى حِمارِكَ الذي كُنتَ تَرْكَبُ عليه...

نَظَر.. فرأى عِظاماً كادتْ تَبْلَى من طُولِ الفَترةِ..

فلمَّا جاءها أَمْرُ اللهِ.. فإذا بها تَتَجَمَّعُ.. ثم يَكْسُوها اللحمُ.. ثم إذا بالحِمارِ يَنْهَضُ ويَتَحَرَّكُ!

فَرَكَ (عُزَيْرٌ) عَيْنَيْه ، ليتأكَّدَ من كُلِّ ما يرى.. أهذه أَحْلامٌ أم هي حَقَائِقُ..؟! وتَسَلَّلَ الإيمانُ إلى القلبِ والعَقْلِ.. وتأكّدَ أنَّها قُدْرةُ الله جَلَّ وعلا..

فهتف:

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

التَّبْلِيغُ... والامْتِحانُ!!

إذاً: يا عُزَيْرُ.. انْطَلِقْ إلى أَهْلِ مَدِيْنَتِكَ فَبَلِّغْهُم ماذا حَدَثَ لك...

ورَكِبَ عُزَيْرٌ حِمارَهُ وانْطَلَقَ.. فإذا الناسُ لا يَعْرِفُونَهُ... وإذا كُلُّ شَيْءٍ في المَدِينةِ يُوْحِي بِتَغَيُّراتٍ جَذْرِيَّةٍ..

وبعد مُحاولاتٍ جادَّةٍ.. وَصَلَ إلى مَكانٍ شَكَّ أنَّه مكانُ بَيْتِه منذ سِنينَ...طَرَقَ البابَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَجُوزٍ تقولُ: ادْخُلْ.. أنا عمياءُ لا أَسْتطيعُ الخُرُوجَ...

دَخَلَ عُزَيْرٌ ، وسَأَلها عن عُزَيْر وأَهْله.. فأجابَتْه: منذُ أكثرَ من مئة سَنَةٍ خَرَج عُزَيْرٌ من هذا البيت.. ولا نَدْري أين ماتَ.. وماتَ جَمِيعُ

أَهْلِهِ.. وأنا كنتُ عبدةً صَغِيرةً عند أَهْلِه.. وها أنا كما تَرَى..

فقالَ لها: أنا عُزَيْرٌ!!

وكادتِ المرأةُ أنْ تُصابَ بالجُنُونِ.. لكنْ أَحَبَّتْ أن تتأكَّدَ من قَوْلِه...

فَسأَلتْهُ: ولكنَّ عُزَيْراً كان مُسْتَجابَ الدَّعْوةِ.. فإذا كنتَ أنتَ عُزيراً فاطْلُبْ من اللهِ أن يَرُدَّ عليَّ بَصَري..

ويشاءُ اللهِ ويَأْذَنُ.. فإذا بها تُبْصِرُ.. فانْطَلَقَتْ في أَسْواقِ المَدِينةِ تَصِيحُ: لقد عادَ عُزَيْر.. أَشْهَدُ أنه عُزَيْر!!

ولمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ حوله.. آمنَ به قِلَّةٌ قَلِيلةٌ وقالُوا: مُعْجِزةٌ أَكْرَمَنا اللهُ بها.. بينما ضَلّتْ فِئةٌ كَبِيرةٌ ، وقالُوا: ابنُ الله!!

وتلتْ (أمُّ خالدٍ) قَوْلَه تعالى:

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[البقرة: ٢٥٩].

ورَدَّدَ الجَمِيعُ: صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ...

وشُكْراً لك ياجَدَّنا على هَذِه الحِكايةِ الجَمِيلةِ...

والحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ